

مشكلة الألوهية بين الفلسفة المسيحية والفلسفة الحديثة دراسة تحليلية في أدلة إثبات وجود الله عند ديكارت

الدكتور: ابراهيم احمد شعير الجميلي

الكلية التربوية المفتوحة_ مركز كركوك_ فرع الحويجة/ العراق

ibramsh1211985@gmail.com

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة مسألة الألوهية بوصفها من أقدم وأهم القضايا الفلسفية التي شغلت الفكر الإنساني منذ بداياته وحتى اليوم، مع تركيز خاص على حضورها في الفلسفة الغربية من العصور الوسطى حتى العصر الحديث. تبدأ الدراسة بتتبع جذور فكرة الألوهية لدى الإنسان القديم والفلاسفة اليونانيين الذين آمنوا بتعدد الآلهة قبل أن تتطور هذه الفكرة مع الديانات التوحيدية. ثم تستعرض الدراسة موقف الفلاسفة المسيحيين أمثال أوغسطين، أنسلم، وتوما الأكويني الذين قدموا براهين عقلية لإثبات وجود الله كدليل الإشراف والنظام والأنطولوجي. وتنتقل بعد ذلك إلى فلسفة ديكارت الذي اتخذ من الشك المنهجي طريقاً لليقين، بدءاً من إثبات وجود الذات المفكرة عبر الكوجيتو، ثم الاستدلال على وجود الله من خلال مجموعة أدلة عقلية، أبرزها الدليل الأنطولوجي الذي يعتمد على فكرة الكمال المتضمنة في مفهوم الله، ودليل الكمال الذي يرى أن فكرة الكائن اللامتناهي لا يمكن أن تصدر عن ذات ناقصة، ودليل الحدوث أو الخلق المستمر الذي يعتمد على فكرة الزمن وتجدد الوجود. وخلصت الدراسة إلى أن ديكارت كان من أبرز من عالج مسألة الألوهية فلسفياً بطريقة عقلية ممنهجة، مستفيداً من الإرث الميتافيزيقي مع الحفاظ على استقلالية منطقته العقلي، وجعل اليقين بوجود الله ضرورة فلسفية وعقلية تماثل اليقين الرياضي.

الكلمات المفتاحية: الألوهية، أوغسطين، ديكارت، الشك الديكارتي، أدلة وجود الله

Abstract:

This study addresses the issue of divinity as one of the oldest and most important philosophical issues that has preoccupied human thought from its beginnings to the present day, with a special focus on its presence in Western philosophy from the Middle Ages to the modern era. The study begins by tracing the roots of the idea of divinity among ancient humans and Greek philosophers, who believed in polytheism before this idea developed with monotheistic religions. It then reviews the positions of Christian philosophers such as Augustine, Anselm, and Thomas Aquinas, who presented rational proofs to prove the existence of God, based on the concept of illumination, order, and ontology. It then moves to the philosophy of Descartes, who adopted methodological doubt as a path to certainty, beginning with proving the existence of the thinking self through the cogito, then deducing the existence of God through a set of rational proofs, most notably the ontological proof, which relies on the idea of perfection embedded in the concept of God; the proof of perfection, which holds that the idea of an infinite being cannot emanate from an imperfect self; and the proof of continuous occurrence or creation, which relies on the concept of time and the renewal of existence. The study concluded that Descartes was one of the most prominent philosophers who addressed the issue of divinity philosophically in a systematic, rational manner, drawing on the metaphysical legacy while maintaining the independence of his rational logic. He made certainty of God's existence a philosophical and rational necessity comparable to mathematical certainty.

Keywords: divinity, Augustine, Descartes, Cartesian skepticism, proofs for the existence of God

المقدمة

تعد مسألة الألوهية من اقدم واهم المواضيع الفلسفية، فهي قديمة قدم التفكير الانساني، فالألوهية شغلت وما زالت تشغل التفكير الانساني بشكل عام والتفكير الفلسفي بشكل خاص، فهي مشكلة شغلت الفلاسفة في جميع العصور والأزمنة، ابتداءً من الفلسفة اليونانية حتى يومنا هذا. ومن بين الفلسفات التي انشغلت بهذه الفكرة الفلسفة الغربية، في الوسيط والعصر الحديث على السواء، فهي فلسفة اختلفت ما بين اثبات الألوهية ونفيها، فمن الفلاسفة حاول اثبات وجود اله وقدم الحجج والبراهين، ومنهم من انكر ذلك مقدما حجج وبراهين مختلفة، كل فيلسوف يحاول اثبات او نفي الإله حسب رؤيته الفلسفية وتوجهه الفلسفي، إذ شكلت هذه المشكلة صراعا فلسفيا على مدار حقبة فلسفية متتابعة ابتداءً من المسيحية والتي حاولت اثبات وجود الله، ومتمثلة بشخصيات فلسفية لها اثرها البارز في التاريخ الفلسفي مثل القديس اوغسطين، وانسلم، وتوما الاكويني

وغيرهم من فلاسفة العصور الوسطى، ثم جاء بعدهم الفيلسوف الفرنسي ديكارت والذي سار على طريقهم في اثبات وجود الله، حيث حاول ديكارت جاهدا اثبات وجود الله مقدما ادلة عقلية فلسفية تثبت وجود الله دحض فيها ادلة الملحدون وغير المؤمنين، ولذلك ارتئينا ان تكون دراستنا هذه والموسومة (مشكلة الألوهية بين الفلسفة المسيحية والفلسفة الحديثة: دراسة تحليلية في أدلة إثبات وجود الله عند ديكارت) هي دراسة لمشكلة الألوهية في الفلسفة الغربية في العصر الوسيط والمعاصر، وكيف اثبتت تلك الفلسفات وجود الله، وماهي الادلة التي قدمتها؟ وهل توجد علاقة تأثير ومؤثر فيما بينها وبين ديكارت؟ وهذه هي اشكالية البحث، اما اهمية البحث فهي تبحث في بيان اهمية تلك المشكلة وثقلها في الدراسات الميتافيزيقية، حيث تعد تلك المشكلة ركيزة اساسية من ركائز الميتافيزيقا، حيث لا تخلو اي دراسة او اي مبحث من مباحث الميتافيزيقا الا وتناول تلك المشكلة ودرسها دراسة مستفيضة، اما سبب اختيار الموضوع فتكمن في رغبتنا الخاصة في الاطلاع على آراء الفلاسفة في تلك الحقبة بشكل عام وآراء ديكارت بشكل خاص حول مسألة الألوهية وكيف عالجهها. اما فيما يخص منهج البحث فأني استخدمت المنهج التحليلي بشكل اساسي، وفي بعض الاحيان يكون المنهج المقارن حاضراً وفقاً لطبيعة الحالة، اما حدود البحث فالدراسة مكونة من مقدمة استعرض فيها فكرة عامة عن طبيعة الدراسة، ومشكلتها واهميتها والمنهج الذي اعتمدت عليه، وكذلك حدودها، وثلاث مباحث في كل مبحث مطلبين، ثم اتبعها بخاتمة استعرض فيها اهم النتائج التي توصل اليها الباحث من خلال ما تقدم من مباحث، ففي المبحث الاول تناولنا مفهوم الألوهية وجذورها في الفلسفة الغربية وهو مكون من مطلبين في الاول والموسوم: الألوهية فكرتها وجذورها، فهو يدرس مفهوم الألوهية بشكل عام، وكيف تكونت فكرتها، وماهي جذورها. اما في المطلب الثاني والموسوم الله في الفلسفة المسيحية (نماذج منتخبة)، في هذا المطلب بينا فكرة الألوهية عند فلاسفة العصور الوسطى، وقد تناولناها عند كل من (اوغسطين، القديس انسلم، وتوما الاكويني) وبيننا من خلالهم اهم الادلة التي قالوا بها لأثبات وجود الله، اما في المبحث الثاني والموسوم طريقة ديكارت للوصول إلى الله وهو مكون من مطلبين ايضاً بينا من خلاله اهم الطرق والسبل التي سلكها ديكارت للوصول الى فكرة الله، ففي المطلب الاول تناول الشك الديكارتي حيث بينا طبيعة الشك عند ديكارت، كيف بدأ وكيف انتهى، وكيف توصل من خلاله الى فكرة الله. واما المطلب الثاني فكان تحت عنوان التفكير العقلاني وطبيعة الافكار عند ديكارت حيث بينا علاقة التفكير العقلاني بإثبات تلك الفكرة واهميتها، وكيف انتقل ديكارت من الشك المنهجي الى اليقين العقلي بواسطة التفكير والكوجيتو. اما المبحث الثالث والموسوم ادلة وجود الله عند ديكارت، تناول اهم الادلة التي قدمها ديكارت لإثبات وجود الله، وهذا المبحث متكون من مطلبين ايضاً ففي الاول تناول الدليل الانطولوجي: واهم صوره، وجذوره، اما في المطلب الثاني فكان خاص ب دليل ديكارت على الحدوث كذلك بينا من خلال هذا المطلب كيف برهن ديكارت على وجود الله من خلال الحدوث، واهم صوره وجذوره. ثم الخاتمة فهي متضمنة على اهم نتائج هذه الدراسة

الباحث

المبحث الاول: مفهوم الألوهية وجذورها في الفلسفة الغربية

المطلب الاول: الألوهية، فكرتها وجذورها

يعتبر الله القدير هو الكائن الأسى خالق كل شيء في العالم، بما في ذلك الإنسان، خلقه وجعله أسى الكائنات، عندما منحه الوعي، وكان تفكير الإنسان في الأزمنة الأولى منذ بداية الخلق محدودًا للغاية ولكن رغم تفكيره المحدود شعر بوجود قوة أعلى وأفضل منه. لقد تحول البشر منذ البداية إلى الله تعالى من خلال الرموز والطقوس والأسرار الدينية ()، ونجد أيضًا أن الإنسان تميز بالتدين منذ نشأته، حتى لو كان تدينه يتمثل في عبادة الأشياء الحسية، مثل عبادة كل مصدر من مصادر الخير ليزيده مثل المطر، وكل مصدر للشر يرضيه كالنار (). كانت الآلهة في ذلك الوقت مرتبطة بسر النمو والظهور والتخصيب من أجل استدامة الحياة في الحقول والحيوانات والبشر (). كان تاريخ البشرية في ذلك الوقت مليئًا بالأصنام، لأنهم دون انقطاع، صنعوا أصنامًا لأنفسهم وعبدوها. ولدت آلهتهم من خيالهم واحتياجاتهم العاطفية (). لكننا نجد أن الإنسان لم يستقر على هذه الحالة، بل ارتقى بفكره، ووسع مفهومه عن التدين. تضمنت تصوراته الدينية كل تفاصيل حياته، بالإضافة إلى اهتمامه بالأشياء الطبيعية التي تحيط به. إنها تنطوي على الولادة والموت، والعمل والأعياد، والحرب والسلام () وتأكيدها لما قلناه تم العثور على القطع الأثرية الأدبية والهندسية والتشكيلية القديمة في المناطق والشعوب الشرقية والغربية، منذ 4000 عام، مما أكد أن ظهور فكرة القداسة النابعة من المشاعر الطبيعية وجود قوة عظمى تحت مسميات عديدة منها (عشتار في بابل، آنا في كنعان، إيزيس في مصر، أفروديت في اليونان وغيرها) وهذا الشعور يمثل تعبيرًا قويًا عن الظهور والحضور الإلهي () مع توسع وعي الإنسان أكثر فأكثر، لاحظ ما يحيط به. ونتيجة لملاحظاته توصل إلى استنتاج مفاده أن هناك قوة أعلى لطبيعة مختلفة عن طبيعته تهتم به وبكل ما يحيط به، فكلف هذه القوة بالحفاظ على النظام الكوني. بهذا التفكير، يتخطى الإنسان المظاهر الظاهرة ويسعى وراء المظاهر، من أجل البحث عن المعنى الكامل وراء المظاهر، والذي يمثلته الخير المطلق (). وهكذا نجد أن الإنسان قد مر بمراحل طويلة من أجل تكوين تصور واضح عن الله تعالى. إذ انتقل من عبادته للأشياء الملموسة إلى مرحلة أعلى من الإدراك مكنته من التشكيك في المفهوم الصحيح عن الله تعالى ()، إلا أن فكرة الله تعالى التي وصل إليها في البداية لم تكن فكرة الواحد. إله. بل كان الاعتقاد السائد في البداية هو الإيمان بوجود عدة آلهة. ونستطيع أن نقول إن معظم فلاسفة اليونان هم من يمثلون هذه المرحلة، رغم اهتمامهم بالأمور الإلهية، لكنهم لم يصلوا إلى مرحلة قول فكرة الإله الواحد، لذلك فشلوا في التخلص من فكرة الإله الواحد. آلهة متعددة. حتى أفلاطون وأرسطو لم يتمكنوا في فلسفتهم من الوصول إلى فكرة واضحة عن الإله الواحد. فكرة الله في أفلاطون لا تتوافق إطلاقًا مع الوجود الكامل. الألوهية، حسب قوله، هي خاصية يمكن تطبيقها على كائنات متعددة. في حوار "تيماوس" قال أفلاطون أن هناك ستة أجناس إلهية، وبينما يذكر وجود (صانع) الذي خلقها، فإن ارتفاع الخالق لا يلغي الشرك بالآلهة ()، وكذلك الأمر بالنسبة لأرسطو الذي يقول أن هناك (49) أو (55) محررًا تندرج تحت

المحرك الأول وهو المحركات المتناقضة الثابتة وغير المنقولة (). ومن بين هذه الأمثلة نجد أن معظم الفلاسفة اليونانيين لم يتوصلوا إلى قول فكرة واضحة عن الإله الواحد، لكنهم على الرغم من أنهم لم يصلوا إلى فكرة التوحيد، إلا أنهم قدموا مجموعة من الأدلة الإلهية والفلسفية على أن الفلاسفة المسيحيين والمسلمين استفاد منهم فيما بعد ووظفهم لخدمة أهدافهم الدينية في محاولة الدفاع عن معتقداتهم. دينيون بطرق فلسفية، أي أنهم عملوا على التوفيق بين الدين والفلسفة. مع تطور الفكر الفلسفي، اهتم الفلاسفة بالبحث عن أدلة على وجود الله تعالى. بالإضافة إلى الأدلة الإلهية المأخوذة من الفلاسفة اليونانيين، قدم الفلاسفة مجموعة من الأدلة المبتكرة التي حاولوا من خلالها الوصول إلى الوجود الإلهي، ولكن يجب الإشارة هنا إلى أن الله الذي حاولوا إثبات وجوده هو الإله الفلسفي. ليس إله إبراهيم واسحق ويعقوب (). ومحاولتهم هنا الوصول إلى وجود الله تعالى كانت من خلال المنهج العقلاني البحث دون الاعتماد على أي أثر ديني. ويتيح لنا هذا الاستنتاج أن نقول إن مشكلة الألوهية كانت من المشكلات التي شغلت أفكار معظم الفلاسفة والمفكرين منذ بداية التفكير الفلسفي حتى الآن، لكن هناك عدداً من الفلاسفة الذين رفضوا وجود الله سبحانه وتعالى. هناك من دعم وجوده. من خلال دعم إيمانهم بدعم وجوده. وهذه الأدلة تمثل واجب العقل ، لذلك إذا أردنا الوصول إلى اليقين الإلهي، فلا يمكن التخلي عنه ()

المطلب الثاني: الله في الفلسفة المسيحية (نماذج منتخبة)

أولاً: الله عند القديس أوغسطين

يعلن أوغسطين في كتابه "اعترافات" أنه لم يشك أبداً في وجود الله قط رغم ما واجهه من اعتراضات، حيث احتلت فكرة الله نقطة المركز من مذهبه كما كانت محور حياته، فهو رأى وجود الله واضحاً من خلال منطق بدوي اجتماع عليه الناس، واتفق عليه خير الفلاسفة، والأمثلة عنده كثيرة، منها قوله ((تنظر الى الارض وما فيها ن قوة وجمال، وكأنك تتساءل عنها. أنت تدرك على الفور أنه لم يكن للوجود بقوته الخاصة ()، وأن العالم نفسه، بتغيره المنظم بشكل عجيب، وبأشكاله "الرائعة": (وقال: "رائع ؛ يعلن في صمت أنه مصنوع" ()؛ لذلك يعتقد أوغسطينوس أن الإلحاد هو جنون كامل، ويعلن أن الملحدين ينكرون وجود الله لأن أوغسطين يعتقد أن الحقائق الثابتة لا تأتي من الأشياء، ولا تكشفها الحواس، لأن الأشياء تتغير باستمرار، وما يتغير. ولا يمكن أن تعطينا معرفة ثابتة. إعطاء هذه الحقائق لأنها متغيرة، فلا بد إذن من البحث عن مصدر تلك الحقائق خارج العقل البشري، وبما أن الحقائق مشتركة بين العقول الفردية ولا تنتج بواسطته كونها سلبية وغير ثابتة، فلا بد من ذلك. أن تكون كائناً ثابتاً وضرورياً وخالداً تنبثق منه هذه الحقائق الثابتة، وأنه هو الله () ، ولصياغة الدليل على وجود الله وفقاً لرؤية أوغسطين، نضيف ما يلي

1. دليل على الإشراق: يمكن للروح البشرية أن تكتشف وجود الحقائق الثابتة بنفسها، ويجب أن يكون سبب هذه الحقائق من جنسها. ما يؤدي إلى وجود كائن أبدي وأبدي، وهذا الكائن هو الله، وأن الوجود والوجود والجوهر

شيء واحد؛ لذلك فإن الجوهر الذي نتخيله الله في أذهاننا يتطلب وجودًا، ومن ثم فإن فكرة وجود الله في أذهاننا تتطلب وجوده أيضًا. الأمر الذي يؤدي إلى وجود الله. ()

2. الدليل على السبب الفعال: دائما ما يحدث التغيير في عالم الوجود عندما يأخذ الشيء صورة معاكسة له، وبالتالي لا يمكن أن يكون الشيء هو الذي يعطيه لنفسه لأن هذا مستحيل؛ إلا لما احتاج أن يعطي نفسه ما كان فيه من قبل، لذا فإن إعطائه النموذج لا يمكن أن يتم إلا من خلال مصدر النموذج؛ مما يؤدي بالنتيجة إلى وجود سبب فعال يعطي الصورة ، وهذا السبب يمثل الله. ()

3. دليل على النظام: وهذا الدليل اشبه بالدليل الغائي، إذا نظرنا إلى ما يحيط بنا في هذا العالم الواسع وما يحتويه من جمال وإبداع، سنجد تنظيمًا رائعًا وتخطيطًا رائعًا يعكس وجود منشئ ومنظم لا يمكننا إنكاره، وهذا يجب أن يكون الخالق والمنظم هو الله. ()

ثانيا: الله عند القديس أنسلم

عند الانتقال إلى شخصية ثانية في العصور الوسطى يمثلها أنسلم، نجده يقدم العديد من الأدلة ابرزها الدليل الانطولوجي على وجود الله، حيث أولى هذا الدليل المكانة المرموقة التي احتلها بين الحكماء الدينين وكذلك العقليين، لكن ان هذا الدليل لم يكن الوحيد الذي اكتفى بها أنسلم انما قدم العديد من الادلة تبرهن على وجود الله، لكنه كان يعتقد ان هذا الدليل هو اكبر الأدلة وأكثرها ثقة ()، ويمكن إدراج ادلة وجود الله عند القديس أنسلم على النحو الآتي :-

1. دليل على الخير: هذا الدليل مبني على فكرة الخير، حيث يعتقد أنسلم أن الناس يحبون الخير وأن البشر يتطلعون إلى تحقيق الخير، لكن مقدار الخير يختلف بين الناس، ولأن كل خير يجب أن يكون له سبب؛ وهذا يؤدي إلى وجود أسباب مختلفة لكل خير، أو وجود سبب واحد لكل أنواع الخير، والحقيقة تشير إلى أنه إذا اختلفت الأشياء في موضوع واحد، فلا بد أن يكون سببها واحدًا، لذا فالعدالة موجودة. في العديد من الأفراد بنسب مختلفة يجب أن يكون لها سبب واحد. إنها تسود على جميع الناس، وكذلك الحال مع الخير. يجب أن يكون مرجعها هو وجود سلعة أعلى أو مطلقة، وهذا الخير المطلق أعلى من كل أنواع الخير. لأنه من الضروري التفريق بين ما هو خير في ذاته، وما هو خير في حد ذاته، ومن البديهي أن ما هو خير في حد ذاته هو أسوأ من الخير في حد ذاته. ومن ثم ، فإن الخير الذي هو سبب كل أنواع الخير هو خير في حد ذاته. لأنها المصدر الوحيد للخير، وهذا يعني أن الخير في حد ذاته هو أشرف جميع أنواع الخير التي بدونها؛ الأمر الذي يؤدي إلى وجود الخير المطلق، وهو أعلى درجات الوجود، يمثله الكائن الأعظم، ثم يمثل الخير المطلق أعظم وجود وهو الله. ()

2. دليل الممكن والضروري: هذا الدليل مبني على فكرة الوجود، حيث يعتقد أنسلم أن كل الأشياء تشارك في كمال عام كامل وهو الوجود، ولكل وجود سبب. لأن الأشياء ممكنة وليست واجبة، وفقط الواجب الذي يمكن

اعتباره بدون سبب، إلا أن سبب جميع الكائنات يمثله كائن واحد أولاً، وهذا الكائن الأول هو الله؛ ثم نصل إلى الوجود في حد ذاته، وتعود الأشياء إليه وهو الله.()

3. الدليل على الاختلاف في الكمال: يستند هذا الدليل على فكرة الكمال في الكائنات. من يلمسها حسب وجهة نظر أنسلم، يعتقد أن بعض الكائنات أكثر كمالاً من غيرها. لا شك أن الإنسان أكثر كمالاً من الحيوانات، ولو لم يقبله الإنسان لما استحق أن يكون إنساناً. ؛ هذا يعني أن هناك اختلافاً في درجات الكمال، وهنا يطرح سؤال ما إذا كانت درجات الكمال ترتفع إلى ما لا نهاية أو تتوقف عند حد معين، أم أن هناك كائنات كاملة متعددة في حد ذاتها؟ إذا أجبنا أن درجات الكمال ترتفع إلى ما هو ليس كذلك.()

ثالثاً: الله عند القديس توما الأكويني

يؤمن الأكويني بأن مسألة الله من حيث هو مبدأ الأشياء جميعاً وغايتها أيضاً، هي من أولى المسائل وأهمها، وإن مسألة الله تقتضي النظر في ثلاثة موضوعات أساسية، وهي وجود الله، ثم صفاته السلبية، التي تقول ما ليس هو، ثم الصفات الثبوتية، كالمعرفة والإرادة والعناية والقدرة .()

1. تعلن طائفة أن وجود الله فطري في الإنسان، لكن هذا القول باطل حسب رأيه. هذا لأن بعض الناس لا يقولون إن هناك إلهاً ، وأيضاً لأن ما هو موجود بشكل طبيعي في النفس البشرية ليس وجود الله، بل بالأحرى المبادئ التقليدية التي يمكن أن ينتقل من خلالها لإثبات وجود الله .

2. تعلن طائفة أن وجود الله لا يحتاج إلى تفسير لأن كل واحد منا يسعى إلى السعادة ، والله هو الهدف الذي من خلاله تتحقق السعادة، فيسعى كل منا بعد ذلك إلى الله، ويقول وحدة الوجود.

3. مجموعة تثبت وجود الله بالتأمل في فكرة الله ، حيث يجب أن يقال إن الوجود والجوهر شيء واحد بالنسبة إلى الله ؛ لأن الله هو الكائن الذي لا يمكن تصوره أعظم منه ، والوجود في العقل وفي الخارج معاً أكبر من الوجود في الذهن فقط ، لذا فإن الكائن الذي لا يمكن تصوره أعظم منه يجب أن يكون موجوداً في كل من الخارج و العقل .

4. تثبت المجموعة أن وجود الله بديهي من خلال فكرة الحقيقة ، فيقولون أنه مهما قلنا، في أي بيان نقوله نقول إن الحقيقة موجودة، فإذا قلنا أن الحقيقة موجودة، فهذا يعني أننا نقول من الحقيقة أن الحقيقة موجودة. ولهذا فإن شهادته في إثبات وجود الله تنطلق من المعقول من أجل الارتقاء إلى الله(). بعد أن حاول الأكويني انتقاد آراء الطوائف الفكرية المتعلقة بإثبات وجود الله، انتقل إلى طرح أدلة بديلة لإثبات وجود الله مستمدة من العالم المادي حصرها في خمسة أدلة لها أصول عند أرسطو، وقدمها في كتابه الخاتمة اللاهوتية في بطريقة موجزة وعلى النحو التالي

1 دليل على الحركة: يتم تأكيده بالمعنى أن هناك أشياء متحركة في عالمنا هذا، وكل شخص متحرك يتحرك بواسطة آخر. لأن الشيء لا يتحرك إلا من حيث كونه بالقوة إلى ما ينتقل إليه، ولكن الشيء يتحرك من حيث كونه

في العمل، فالحركة ليست سوى إخراج الشيء من القوة إلى الفعل، وطرد الشيء. إلى فعل لا يمكن تحقيقه إلا من خلال كائن موجود، تمامًا مثل الحرارة في الواقع، مثل النار، فهي تجعل الخشب ساخناً قسرياً في العمل، وبالتالي يحركه ويغيره، لكن الشيء نفسه لا يمكن أن يكون بالقوة والفعل معاً من ناحية واحدة، ولكن في كثير من النواحي؛ لأن ما هو ساخن بالفعل لا يمكن أن يكون ساخناً من نفس الجانب أيضاً. بل إنه من هذا الجانب يحتمل أن يكون بارداً؛ ومن ثم لا يمكن أن يكون شيئاً متحركاً ومتحركاً في نفس الوقت، أي يتحرك من جانب واحد؛ لذلك كل ما يتحرك يجب أن ينتقل من الآخر، وإذا كان هذا الآخر يتحرك فعليه أن يتحرك من الآخر، وهنا لا يجوز التسلسل إلى أجل غير مسمى، وإلا فلن يكون المحرك الأول ولن يكون محركاً آخر؛ لأن المحرك الثاني لا يتحرك إلا بما يتحرك من المحرك الأول، كما أن العصا لا تتحرك إلا بما يتحرك من اليد. ومن ثم، لا بد من القدوم إلى المحرك الأول غير المتأثر من شخص آخر، وهو الله. وهذا الدليل ورد عند ارسطو في السماع الطبيعي ()

2. الدليل على السبب الفعال أو الفعال: نجد في الحساسيات التي يمكن ملاحظتها ترتيباً بين الأسباب المؤثرة، ولا يُرى مع ذلك أن شيئاً ما هو سبب مؤثر في نفسه بسبب ضرورة وجوده أمام نفسه وهذا هو مستحيل، والتسلسل يمتنع في الأسباب المؤثرة؛ لأن السبب الأول من بين جميع الأسباب المؤثرة والتبعية هو سبب الوسط، والوسط هو سبب الأخير سواء كان هناك وسط واحد أو العديد، ولكن إذا تمت إزالة السبب، يتم إزالة التأثير؛ ومن ثم إذا لم يكن هناك سبب أول فعال، فلا يوجد أخير أو وسط فيه، وإذا كانت الأسباب الفعالة متسلسلة، فلا يوجد سبب مؤثر أول، لذلك لا يوجد تأثير أخير، ولا أسباب مؤثرة وسيطة، وهذا بين بطلان. لذلك يجب من إثبات السبب الأول الفعال الذي يسميه الجميع الله. ولكن ارسطو عرضه لبيان استحالة التسلسل من جنس العلل الفاعلة، أما الاكوييني فعرضه من اجل بيان ضرورة علة خالقة، وذلك من خلال تطبيق نظرية القوة والفعل تطبيقاً ادق، يستلزم ان الموجود المتحرك ليس موجوداً بذاته ()

3. الدليل على الممكن والواجب: نجد في الأشياء ما يمكن أن يوجد أو لا يوجد، فبعضها يُنظر إليه على أنه مكشوف للكون والفساد؛ مما يعني إمكانية وجودها أو عدم وجودها، ومهما كان مثل ذلك، فإن وجودها دائماً ما يكون ممنوعاً؛ لأن ما لم يكن موجوداً لم يكن موجوداً في وقت ما. لذلك، إذا كان عدم الوجود ممكناً في كل الأشياء، فسيكون من الضروري أنه في مرحلة ما لم يكن شيئاً، وإذا كان هذا صحيحاً، فلن يكون أيضاً شيئاً الآن. لأن ما هو غير موجود لا يبدأ في الوجود إلا بشيء موجود. لذلك، إذا لم يكن هناك شيء ما، فسيكون من المستحيل أن يبدأ شيء ما في الوجود، والآن لا يوجد شيء، وهذا خطأ واضح. فليس كل الموجودات ممكنة، بل يجب أن يكون في الأشياء واجب، والواجب إما واجب في حد ذاته أو على غيره. والالتزامات بدونها مستحيلة، مثل استحالة ذلك في الأسباب التي تؤثر على ما مر في الأدلة السابقة. ولهذا لا بد من إثبات الوجوب في ذاته، وليس بواجب آخر، بل يجب عليه شيء آخر، وهذا ما يسميه الجميع بالله. ()

4. دليل على تفاوت الموجودات في الصفات العامة المساوقة للموجود : نلاحظ في الأشياء اختلافاً أكثر فأكثر من حيث الخير والشرف والحقيقة وما إلى ذلك، ويقال أكثر فأكثر عن الأمور المختلفة وفقاً لاختلافها في التقارب إلى ما هو نهاية الشيء، تماماً كما كان أقرب إلى ما هو حار جداً، يكون أكثر سخونة؛ ما يؤدي إلى أن تكون الأشياء غاية في الخير والشرف والحقيقة وما إلى ذلك، هو نهاية الوجود، لأن ما هو غاية في الحقيقة هو غاية في الوجود، وما هو غاية في الجنس هو سبب كل ما يندرج تحت هذا الجنس، تماماً كما أن النار التي تنتهي بالحرارة هي سبب لكل شخص ساخن؛ ومن ثم، هناك شيء في حالة سبب لما يوجد في جميع كائنات الوجود والخير وكل شيء آخر. الكمال هو ما ندعوه بالله. ()

5. الدليل على وجود النظام أو التدبير: نرى بعض الكيانات التي تخلو من المعرفة، مثل الأجسام الطبيعية، تعمل لغرض ما، وهذا واضح من أنها تفعل دائماً أو يتبع معظمها نهجاً واحداً حتى يدركوا النهاية في ذلك، وبهذا يتبين أنهم لا يحققون الهدف بالاتفاق، بل بالقصد، بشرط أن لا ينتهي ما يخلو من المعرفة إلا إذا كان موجهاً إليه من قبل كائن عارف وعقلاني. السهم موجه من السهم. ومن ثم، هناك كائن عقلاني يوجه كل الأشياء الطبيعية إلى النهاية، وهو من ندعوه الله، وعلى هذا الأساس يتصور الأكوييني الله علة فاعلة موجهة إلى غاية ولا يتكلف في ذلك أكثر من احكام نظرية القوة والفعل التي تعد دائماً هي اساس فكره وقطب مذهبه. ()

وهنا يجد الباحث إن التحليل التاريخي والفلسفي أثبت أن البشرية، منذ فجر التاريخ، ارتبطت بفكرة وجود قوة عليا تُسيّر الكون، وإن تنوعت أشكال هذا الارتباط عبر الرموز والطقوس والأساطير. وهذا يُعزز فكرة أن الميل نحو الألوهية ثابت وجودي أنثروبولوجي لا ينفصل عن الطبيعة البشرية. ولم يكن الانتقال من التعددية إلى التوحيد مفاجئاً بل كشفت دراسة الفكر الفلسفي اليوناني أن الانتقال من تعدد الآلهة إلى فكرة الإله الواحد لم يكن انتقالاً مفاجئاً ولا انقطاعاً معرفياً، بل كان نتاج تطور فكري تدريجي، ارتكز إلى حد كبير على محاولة تفسير النظام الكوني والسعي إلى الخير المطلق. حتى فلاسفة عظماء مثل أفلاطون وأرسطو ظلوا مترددين بين مفهوم المحرك الأول وإله يشترك في خصائص مع كائنات عليا أخرى. كما كشفت الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، كما هو الحال مع أوغسطين وأنسيلم وتوما الأكوييني، أن العلاقة بين الدين والفلسفة انتقلت من مرحلة التعارض الظاهري إلى مرحلة التوافق، حيث استُخدم المنطق العقلاني والأدلة الفلسفية لإثبات وجود الله بما يكمل المفهوم الديني، مسجلاً هذا تطوراً فلسفياً نوعياً في وعي الفلاسفة المسيحيين بالفرق بين إله الفلاسفة - ككائن تجريدي يُثبت العقل والنظام والسببية - وإله الوحي الإبراهيمي، الذي يتجاوز مجرد الوجود الضروري ليهتم بالبشرية من حيث الرعاية والرعاية والخلاص. وقد أظهرت أعمال أوغسطين، وأنسلم، وأكوييني، أن البراهين العقلية لوجود الله اتخذت أشكالاً مختلفة (مثل: إثبات النظام، وإثبات الاستنارة، وإثبات الإمكان والضرورة، وإثبات الحركة، إلخ)، لكنها جميعها تُشكل منظومةً شاملةً من الحجج التي تسعى إلى تحقيق هدف واحد: إثبات وجود كائن ضروري ضروري في ذاته، ومبدأ وجود مطلق. ومن الجلي أن مشكلة الألوهية ظلت قضيةً محوريةً شغلت الفكر الفلسفي

الغربي منذ العصور القديمة وحتى العصور الوسطى وما بعدها. وهذا يُظهر الحضور العميق والدائم لهذه المشكلة في العقل البشري، وانعدامها في بيئة ثقافية واحدة أو حقبة معرفية واحدة. مع أن الفلاسفة اليونانيين والمسيحيين لم يصلوا إلى التوحيد الخالص للديانات الإبراهيمية، إلا أن الفلاسفة المسلمين استغلوا أدلتهم وأفكارهم - وخاصة أفكار أرسطو وأكويني - لبناء أنظمة عقلانية تدافع عن العقيدة الإسلامية في إطار مشروع يجمع بين العقل والتراث. المبحث الثاني: طريقة ديكرت للوصول إلى الله

المطلب الأول: الشك الديكرتي

بما أن موضوع بحثنا هو الدليل على وجود الله سبحانه وتعالى، يجب أن نبين كيف وصل ديكرت² إلى وجود الله تعالى. أن ديكرت كان مؤمناً بوجود الله تعالى، لكنه بدأ فلسفته بالشك، فلفق الشك حتى يصل إلى الحقيقة. إذ يقول ((نظراً لرغبتني آنذاك في أن افرغ للبحث عن الحقيقة رأيت انه يجب علي أن افعل نقيض ذلك وان انبذ كل ما أستطيع أن أتوهم فيه اقل شك على انه باطل على الإطلاق وذلك لأرى أن كان لا يبقى في اعتقادي بعد ذلك شيء لا يحتمل الشك))(()). بدأ ديكرت خطوته الأولى في مسيرته الفلسفية بالشكوك، حيث طغت عليه الكثير من الشكوك. يقول في هذا الصدد: ((كان الأمر كما لو أنني سقطت فجأة في مياه عميقة جداً، وقد أرعيتني الأمر كثيراً، حيث لم أتمكن من تثبيت قدمي في الأسفل، ولا أن أطفو لتمكين جسدي من الوصول إلى السطح من الأرض))(()). ولكن لا بد من الإشارة إلى أن شك ديكرت لم يكن شكاً في اللاأدرية، بل كان يقصد به إنكار المشكوك فيه فقط بحيث يكون ما تبقى بعد الشك هو ما يقوم على الصخر. اليقين ضروري أيضاً للبحث عن تقدم في الفكر خالٍ من الغموض. والشك بحسب ديكرت هو الذي اختلقه في رغبته في تنقية عقله من كل أفكاره ومعتقداته وتخليصها مما علقت بها من الأوهام والأخطاء. والشك هنا عمل حر، فهو يمثل تحرر الإنسان من كل ما لا ينبع من العقل. سعى ديكرت مع شكه إلى الوصول إلى نقطة اليقين بقدر الإمكان. والشك الديكرتي تظهر منه روح الاستعداد لقبول الدليل على أنه لا سبيل للشك في وجوده، كما أنه يمثل روح الاستعداد لقبول حقيقة شيء يصمد أمام الاختبار الأشد. فالحقيقة هنا توصل إليها ديكرت بعد أن شك في كل ما هو مشكوك فيه. موقفه يشبه أرخميدس. يقول ديكرت: ((لم يطلب أرخميدس أي شيء سوى النقطة الثابتة غير المنقولة من أجل نقل الكرة الأرضية من مكان إلى آخر. وبالمثل يحق لي أن أعلق أعظم آمالي على أنني كنت محظوظاً، ولقد وجدت شيئاً أكيداً لا شك فيه))(()). واننا نجد مما سبق لقد طلب فقط نقطة أساسية من اليقين من شأنها أن تكون بمثابة الأساس الذي يبني عليه فلسفته. من أجل الوصول إلى هذه النقطة، بدأ في الشك، لذلك اعتبر كل الأشياء الممكنة غير صالحة، تقريباً مثل شخص لديه سلة تفاح، من أجل فصل التفاح الجيد عن الآخرين، يقوم بإفراغ السلة بأكملها ثم ينفذ عملية الفصل. هكذا فعل ديكرت وبدأ شكه. بقوله: ((إذا كان الإنسان طفلاً، ولم يكمل عقله بعد، فقد أحكم في ما انكشف عن عقله، وبعض هذه الأحكام صحيح، وبعضها على خطأ، وهذه الأحكام هي: تجعله يتشبث بنفسه بشدة لدرجة أنه يبدو له أنه من المستحيل التخلص منها ما لم يشرع بالشك))(()). يؤكد ديكرت رأيه

بقوله: ((ما دام العقل يقنعني قبل ذلك، فلا ينبغي أن أكون أقل حرصًا على الامتناع عن تصديق الأشياء التي لم تصل إلى درجة اليقين التام، من الحرص على الامتناع عن تصديق أشياء لم تصل إلى دليل الفساد، يكفي أن أرفضهم جميعًا، ويمكنني بسهولة أن أجد في كل منهم سببًا للشك)). ()). وبدأ ديكارت يشك في الحواس، لأنهم دائمًا ما يخدعون الشخص. غالبًا ما يعتقد الشخص أن الأصدق والأشياء الأكثر موثوقية يتم اكتسابها من الحواس، ولكن بمجرد اختبارها يتضح أنها خادعة تنخدع الحواس في العديد من الأماكن، على سبيل المثال: تظهر الأبراج الدائرية للإنسان من مسافة على أنها مربعة ()). كما أن الشخص المصاب باليرقان قد خدع عينيه لأنه يرى كل شيء أصفر ()). ومظاهر أخرى تظهر للإنسان أن الحواس تخدعه. يقول ديكارت: ((لا شيء هو في الواقع كما تجعلنا الحواس نتخيله)). ()). ليس من الحكمة أن يطمئن الإنسان تمامًا من خدعه ولو لمرة واحدة ()).، فإن الحواس خادعة ولم يقتصر شك ديكارت على ما يراه بحواسه، لكنه شك أيضًا في عدم قدرته على التمييز بين ما يراه الإنسان في اليقظة وما يراه في الواقع. وبين الأفكار التي تأتي إلينا عندما ننام وتلك التي تأتي إلينا عندما نكون مستيقظين ()). لذا فإن شك ديكارت يشمل كل ما يراه الإنسان من خلال حواسه، وكذلك ما يراه في أحلامه، وكذلك الشك في الخيال وإرث الماضي. الشك، بحسب ديكارت، هو الإصرار على عدم الالتزام بالأحكام السالفة الذكر، سواء كانت صادرة عن تعاليم الماضي الموروث، أو من الحواس أو الخيال ()). لم يتوقف شك ديكارت عند هذه النقطة، بل شمل أيضًا مسائل رياضية. يعتقد ديكارت أن الإنسان ليس كائنًا واعيًا فحسب، بل كائنًا عقليًا، متحدثًا يعتمد على عقله في استدلالاته، ولكن على الرغم من اعتماده على عقله، فهناك من يرتكب أخطاء في تفكيرهم حتى في أبسط الأمور الرياضية ()). على الرغم من أن الرياضيات تتميز بالوضوح الكافي في حد ذاتها ()). مع هذا ديكارت يعتقد أنه عدم تحقيقها في الخارج، إلا أن المبادئ الرياضية تتميز بالوضوح الكافي في حد ذاتها ()). مع هذا ديكارت يعتقد أنه في بعض الأحيان يجد أكثر علماء الرياضيات ذكاءً يرتكبون أخطاء في أبسط البراهين الرياضية ()). وهنا في خضم كل هذه الشكوك ذهب ديكارت ليقول إنه ربما يكون سبب شكه الدائم هو أن هناك إلهًا قادرًا على كل ما خلقه حتى يضلله في أحكامه. ويعتقد ديكارت ان: ((الله الذي خلقنا يمكنه أن يفعل ما يشاء، وما لا نعرفه بعد، ربما كانت إرادته هي خلقنا بحيث نكون دائمًا على خطأ. حتى في الأشياء التي نعتقد أننا ندركها)). ()). فربما يكون هذا الإله الذي خلق الإنسان قد قضى بعدم وجود جسم أو شكل أو شيء من الأشياء التي يشعر بها، وعلى الرغم من عدم وجودها، فهو يريد أن يشعر بوجودها حتى تظهر له على الرغم من عدم وجودهم ()).، لذلك فإن هذه القوة التي يكون الإنسان تحت رحمتها تهيمن عليه وتعمل على الخداع وتضليله حتى تظهر له الأفكار عكس ما هو موجود في الواقع. هكذا نجد أن هذا الإله يعبث بكل الروابط الذهنية للإنسان، ويعمل على تضليل أفكاره حتى في أبسط الأمور. ويواصل ديكارت بقوله في هذا الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى مراوغ ومخادع. دفع قول ديكارت هذا الكثيرين إلى القول إنه يشك أو ينكر وجود الله تعالى. لكن ديكارت رفض هذا الأمر وأنكره، والتأكيد على ذلك كان قوله: ((لعل الله لم يشأ أن يخدعني بهذا الشكل، لأنه سبحانه كريم رحيم)). ()). وبعد أن شك ديكارت في كل شيء،

وجد أنه يمكن أن يشك في كل شيء إلا في شكه. لا يشك المتشكك في الشك، لأن الشك نفسه يحتاج إلى نفس الشك، ولكن عندما نرفض ونشك في وجود كل شيء لا يمكننا أن نفترض أننا غير موجودين، لأنه من الأشياء غير المقبولة ذهنيًا أن الشخص الذي يعتقد غير موجود (). إن قدرة الذات على التفكير هي دليل على وجودها، حيث يستحيل أن يكون لديك أفكار بدون الذات التي تتم فيها عملية التفكير، لذلك بما أن الشك هو التفكير، فلا يمكن للإنسان أن يمنع نفسه من الإيمان بوجوده. هذه هي الطريقة التي توصل بها ديكارت إلى مقولته الشهيرة المعروفة باسم Cogito (أفكر، إذن أنا موجود) ، قائلاً عنها: ((هذه الحقيقة، أفكر إذن أنا موجود، كانت تتعلق بالاستقرار والموثوقية واليقين حتى لا يتمكن اللاأدريون من زعزعتهم بكل التجاوزات الشديدة في فرضياتهم)). الكوجيتو هنا حسب ديكارت هو حقيقة أولى ومبدأ فلسفي أول، توصل إليه ديكارت من خلال الحدس. إنه يمثل نوعًا خاصًا من الإدراك العقلي الذي يُظهر من خلاله الترابط الضروري بين الفكر والوجود. فالإنسان موجود من حيث كونه كائنًا مفكرًا أو من حيث وصفه بأنه ذات تفكير (). ويتميز الإنسان بخاصية التفكير، إذ لا يستطيع التوقف عن التفكير دون التوقف عن الوجود. يفكر الإنسان دائمًا، ووجود الإنسان يعتمد على استمرار تفكيره. بمجرد أن يتوقف الشخص عن التفكير، فإنه ينتهي أيضًا من الوجود. يؤكد ديكارت هذا الأمر قائلاً: ((أجد هنا أن الفكر هو الصفة التي تخصني، وهو وحده لا ينفصل عني. لم يعد موجودًا على الإطلاق)). إن الوجود هو جوهر كل جوهر هو الفكر، والمقصود بالفكر وفقًا لاعتقاد ديكارت: ((كل ما يثير فينا حتى ندركه مباشرة بأنفسنا)). بهذه الطريقة أثبت ديكارت وجوده، لكن يجب الإشارة هنا إلى أن الوجود الذي أثبتته ديكارت هو وجود الفكر وليس وجود الجسد. بحيث يمكن للإنسان أن يتخيل أنه ليس له جسد ولا مكان له، تمامًا كما يتخيل أنه لا يوجد عالم، لكنه لا يستطيع أن يتخيل أنه غير موجود فكريًا (). هكذا توصل ديكارت إلى يقين الوجود الفكري للإنسان. واعتبر أن وجود الفكر هو اليقين الأول الذي وصل إليه بلحظة حدسية، وبوصوله إلى اليقين الأول وصل إلى النقطة الأساسية التي سيبنى عليها وجود الله تعالى ثم وجود العالم الخارجي.

المطلب الثاني: التفكير العقلاني وطبيعة الافكار عند ديكارت

لأن ديكارت بدأ مسيرته الفلسفية بالشك، فقد شك في كل الأمور الحسية وغير الحسية، ولكن مع لحظة حدسية وصل إلى اليقين الأول، وهو (الفكر) واعتبر هذا اليقين هو الحقيقة الراسخة. لكن ديكارت لم يتوقف عند الحد الأول من اليقين، بل أراد توسيع نطاق معرفته ()، فبدأ في البحث عن منفذ للخروج من نطاق غطرسة التفكير، فالتفت إلى يبحث عن الأفكار التي يحملها في عقله، لعله يهتدي إلى إحداها يخرج من خلالها النفس إلى الوجود الخارجي (). عندما نظر إلى أفكاره وجد أنها مقسمة إلى ثلاثة أنواع وهي: النوع الأول هو الأفكار العرضية، وهي تمثل الأفكار التي يتلقاها الفرد من الخارج مثل اللون والصوت، ودرجة الحرارة (). أما النوع الثاني من الأفكار فهو الأفكار الاصطناعية، وهذه الأفكار بينها ديكارت في قوله ((وليد صناعي واختراعي)) ()، فهي الأفكار التي يصنعها وينتجها الخيال، حيث يخترعها الخيال بناءً على هذه الأفكار التي حدثت من خلال الجمع بينها، مثل الحصان

المجنح، وحوريات البحر الفاتنة، وغيرها(). اما الافكار الفطرية فهي تمثل النوع الثالث من الافكار فهي الافكار التي تكون موجودة في الذهن مع لحظة ولادة الانسان وهي تمثل أصول تفكيره(). يعتقد ديكارت أن وجود هذه الأفكار يتم بالقوة، ولكن تتكون بمجرد انكشاف فرصة للتجربة، فإنها تنطلق إلى العمل. وتتميز هذه الأفكار في وضوحها وبساطتها وشمولها، مثل فكرة الله تعالى وامتداده(). وهكذا أدرج ديكارت أفكاره في ثلاث طوائف، بعضها له سيادة على البعض الآخر وفقاً لمدى وضوحها وتميزها وحدسها. لكن ديكارت ومن خلال بحثه في أفكاره وجد أن هناك فكرة قوية تسود على كل أفكاره، وهذه الفكرة هي فكرة الوجود المثالي اللامتناهي، وهذه الفكرة هي فكرة غرسها العقل البشري، ومنذ ذلك الحين أصبح العقل البشري موضوع الحقيقة وأصل اليقين. وقد اكتسبت هذه الفكرة الحقيقة واليقين(). يؤكد ديكارت على صدق هذه الفكرة ويقينها حيث يعتقد ان الفكرة التي يتخيل فيها إلهاً وقوة أبدية ولا نهائية لا تتغير تغير كلي وليس لها علم كلي القدرة ، وان خالق كل الأشياء خارج نفسه، ويقول ((إن هذه الفكرة أو فكرة الإدراك تمتلك في حد ذاتها وجوداً أكثر موضوعية. من الأفكار التي تمثل لي الجواهر المحدودة والمتناهية))()، وهكذا نجد أن ديكارت انتقل من الفكر الى اليقين باستخدام الاستدلال الذهني، اي من الفكر وهو اليقين الأول، إلى فكرة الله القدير الكامل واللامتناهي. ونجده يبين هذا الانتقال من خلال هذا التدرج ومن خلال نهجه المتشكك الذي قاده إلى اليقين الأول، فقد اكتشف الخيوط الأولى من الألوهية في إيمانه(). لكن نحن نجد ان ديكارت لم يقصر في نفسه على توضيح فكرة وجود الله تعالى في ذهنه، بل عمل على تقديم عدة أدلة تثبت الوجود الفعلي للخالق، لأنه يعتقد أنه لا يطمئن إلى حقيقة ما هو عليه. ما لم يدرك ذلك بوضوح، كما أنه لن يصل إلى معرفة معينة إلا إذا عرف خالقه وأظهر وجوده. وما هي طبيعته(). وهنا يمكن القول في مقدمتنا للأدلة الوجودية أنها من أهم وأبرز الأدلة المقدمة لإثبات وجود الله تعالى سواء مع ديكارت أو مع الفلاسفة الآخرين. وقد أطلق عليه هذا الاسم لأنه يمثل "جهداً في استنباط وجود الله تعالى من فكرة الله تعالى" ().

المبحث الثالث: ادلة وجود الله عند ديكارت

المطلب الاول : الدليل الانطولوجي: يعد الدليل الوجودي من أبرز وأهم الأدلة المقدمة لإثبات وجود الله ، وسمي بهذا الاسم لأنه ينتقل من الجوهر إلى الوجود. وجاء ديكارت في هذا الدليل ليثبت وجود الله بقوله أن هناك مجموعة من الأفكار في عقل الإنسان، وهذه الأفكار ليست من صنع الإنسان، وتتميز بحقيقة أن طبيعتها تكون حقيقية وثابت(). ومن بين هذه الأفكار هناك فكرة موجودة في مجمل المعرفة والقوة كهدف. الكمال ، وهذا موجود هو الله(). وهذه الفكرة حسب اعتقاد ديكارت تتميز بالوضوح والتميز، وبما أن كل ما هو واضح ومتميز صحيح، فهذه الفكرة صحيحة(). وان قول ديكارت أن الله هو كائن لا متناهٍ وكامل ، وهذا يعني أنه يمتلك كل أنواع الكمال، والوجود هو أحد هذه الكمالات، لذا فمن التناقض أنه غير موجود(). هذا لأن الكائن الذي يفتقر إلى الوجود لا يمكن أن يكون لانهائياً وكاملاً، وذلك لأنه بسبب افتقاده للوجود يفتقر إلى أهم خاصية أساسية للسمات اللانهاية والكمال، ألا وهي الوجود(). إن وجود الله هنا ينبع من القول بأنه يمتلك كل أنواع الكمال، ومن خلال هذه الصفات

الكاملة التي تتضمن فكرة الله تعالى، يمكن للإنسان أن يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى كائن أو موجود، تأكيداً على هذا الرأي، يقول ديكارت: ((لا ينبغي الاعتراض هنا، فأنا في الواقع مجبر على قبول وجود الله بعد أن افترضت أنه يمتلك كل أنواع الكمال، طالما أن الوجود واحد منها)). (1). فالله القدير كما يراه ديكارت موجود، والوجود متضمن فيه بطريقة تضمن أن الزوايا الثلاث للمثلث تساوي قائمتين (2). في هذا الصدد، يقول ديكارت: ((عندما عدت إلى فحص صوري الذهنية لكائن مثالي، أدركت أن الوجود مشمول فيه بنفس الطريقة التي يدخل بها في الصور الذهنية لمثلث تساوي زواياه الثلاث اثنين من الزوايا القائمة، ومثلما يدخل في الصور الذهنية لدائرة تكون جميع أجزاء محيطها متساوية في المسافة حول المركز وهو أوضح من هذين)). (3). وهكذا نجد أن ديكارت ربط وجود الله بالموضوعات الرياضية، لاعتقاده أن الموضوعات الرياضية هي موضوعات نظر خالصة ورؤية ثابتة تمكن الإنسان من الوصول إلى الحقيقة إذا قدم الأحكام فيها (4). وهنا يعتقد ديكارت أنه من الممكن التفكير في الله تعالى وموضوع وجوده بطريقة مشابهة للتفكير الرياضي والوصول، وفقاً لهذا التفكير، إلى يقين مماثل لليقين الرياضي (5). وهكذا نجد أن ديكارت يميز وجود الله تعالى عن وجود أي شيء آخر، فهو يعتقد أن الوجود مشمول في معنى أي شيء، لأننا لا نتخيل شيئاً إلا أنه موجود، ولكن الوجود مشمول في الكائن الناقص هو الوجود المحتمل أو الوجود العرضي. أما الوجود المتمثل في الوجود الكامل فهو الوجود الضروري أو الكامل (6). ولتأكيد هذا الأمر يقول ديكارت: ((العقل لديه أفكار تختلف عن أشياء أخرى كثيرة، لكنه لا يلاحظ فيها أي شيء يؤكد وجود موضوعاتها، بينما يدرك في هذه الفكرة (أي فكرة الله)، وأنه لا يشمل الوجود المحتمل فقط، كما هو الحال في أفكاره حول الأشياء الأخرى، ولكنه لا يشمل الوجود الأبدي والضروري للغاية)). (7). ويعتقد ديكارت أنه عندما يكون الله القدير هو الكائن الوحيد الذي يتضمن الوجود الضروري المطلق، فهذا يعني أنه الكائن الوحيد الذي يدخل جوهره في وجوده. لذا فإن جوهر الله هو جوهر وجوده، وهذا التطابق بين الجوهر والوجود لا يوجد في أي معنى آخر غير معنى الله. وحقيقة أن جوهر الله له صفة فريدة لا يشترك فيها جوهر آخر وهي حقيقة أن وجوده مشمول، فإن هذا الموضوع يجعلنا على اعتقاد تام من مجموع موضوع خارج العقل الانساني، وعلى هذا الأساس يكون الوجود المتحقق الخارجي هو جزء لا يتجزأ من اجزاء مضمونها (8). ومن هنا نجد أن وجود الله تعالى في هذا الدليل يدخل في جوهره، لذا فإن جوهر الله حسب ديكارت يقتضي الوجود الفعلي، وذلك لأن كلاهما أساس الآخر، ويحتوي على الجوهر والوجود (9). وعلى هذا الأساس انتقل ديكارت بدليله من الطبيعة المعروفة والواقعية لله إلى ما هو مطلوب منها بالضرورة من حيث الواقع الحقيقي لوجوده (10). ولتأكيد صحة الوجود الذي استخلصه ديكارت في هذا الدليل، يقول: ((يمكن للفكر أن يزيد من ثقته في صحة هذه النتيجة إذا لاحظ أنه لا يجد في نفسه فكرة شيء آخر يصبح فيه واضحاً أن وجوده ضروري بهذه الطريقة إطلاقاً، ويثبت أن فكرة وجود كامل ليست وهم من نسيج الخيال، لكنها ترسبت فيه بطبيعة حقيقية ثابتة موجودة بالضرورة، لأن يمكن فقط تخيله مصاحباً لوجود ضروري)). (11). ويختتم ديكارت دليله بقوله إنه يحتاج إلى مجهود ذهني كبير حتى وصل إلى دليل حقيقي على وجود الله تعالى. بل

إنني ألاحظ أيضاً أن يقين الأشياء الأخرى يعتمد عليها تماماً، لذا من الصحيح القول إنه بدون هذه المعرفة يستحيل معرفة أي شيء بمعرفة كاملة(). وهكذا أجد إن انتقال ديكارت من فكرة وجود الله في ذهنه إلى وجوده الفعلي، وقد حدث هذا الانتقال دون الاعتماد على أي فكرة أو على أي شيء خارج العقل، ومن خلال هذا الانتقال من الجوهر إلى الوجود، كان قادراً على تقديم دليل أعتقد أنه لا ينقصه أي شيء يثبت وجود الله. ولم يقدم ديكارت الدليل وجودي فقط لإثبات وجود الله، بل قدم أدلة عقلية عديدة على وجوده، ونجد أن بعض الأدلة الأخرى هي شكل من أشكال من الأدلة الوجودية، لأنها مبنية على الفكرة الرئيسية التي استند عليها هذا الدليل الوجودي من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن طريقة الاستدلال في هذه الأدلة هي نفس طريقة الاستدلال في الأدلة الوجودية. لذلك سنقدم هنا ونناقش هذه الأدلة وكأنها تكمل الأدلة الوجودية. هذه الأشكال هي:

أولاً: دليل الكمال: هو أحد أشكال الأدلة الوجودية هو دليل الكمال. ويمثل هذا الدليل امتداداً للدليل الأنطولوجي في أنه ينتقل من الجوهر إلى الوجود. بهذا الدليل يحاول ديكارت الانتقال من فكرة وجود الله في ذهنه إلى الوجود الإلهي الفعلي. حيث يبدأ ديكارت هذا الدليل بالقول إن الذات البشرية ناقصة، وما يؤكد نقصها أنها تشك وتخطئ وتفترض. وتأكيداً على هذا الرأي يقول ديكارت: ((لم أفكر في شكوكي، وأن نتيجة ذلك كانت أن نفسي لم تكن كاملة تماماً، لأنني أدركت أن المعرفة أكمل من الشك)). ويعتقد ديكارت هنا أنه لم يكن يعلم أن الذات البشرية غير مكتملة ما لم يكن لدى العقل البشري فكرة عن الكائن المثالي. من خلال هذه الفكرة يدرك البشر مدى النقص والمحدودية التي تحيط بهم. هذه الفكرة هي مصدر المعرفة البشرية بطبيعتها التي تنطوي على نقص ومحدودية(). وهنا يجب أن يتساءل المرء من أين أتت هذه الفكرة؟ ولكن قبل أن نظهر مصدر هذه الفكرة، يجب أن نبين أن ما يعنيه ديكارت بكلمة الله: هو جوهر غير محدود وأبدي وثابت موجود في حد ذاته، يحيط بكل شيء وقادر على كل شيء، خلق الذات البشرية. خلق كل الأشياء الموجودة إذا كان وجود الأشياء حقيقياً(). وهنا يعتقد ديكارت أنه إذا سألت عن مصدر هذه الفكرة، فسيجد أنه من المستحيل أن تأتي هذه الفكرة من الذات البشرية، لأن الذات البشرية محدودة ولا يمكن أن يكون المحدود مصدر حدوث فكرة اللانهاية(). المحدود يختلف تماماً عن اللانهائي، لأنه أقل من اللانهائي من حيث الكمال. ويؤكد ديكارت ذلك بقوله: ((كلما تخيلنا شيئاً كمالياً، كلما اعتقدنا أن سببه يجب أن يكون أكثر كمالاً منه)).(). لكن إن لكل تأثير حسب اعتقاد ديكارت يكون هناك سبب مكافئ له في مرتبة الشرف إذا لم يكن أفضل منه، وبما أن هذا هو الحال، فإن فكرة الوجود المثالي يجب أن تكون قد نشأت من سبب متوافق معها(). لهذا السبب يقول ديكارت: ((لقد تبين لنا من خلال النور الفطري أنه يجب أن يكون هناك في السبب الفعال والكامل للوجود بقدر ما يكون في تأثيره، على الأقل فمن أين يستمد المعلول وجوده؟ إذا لم تستمدها من علته؟)).(). وهنا ونظراً لأن فكرة الوجود اللامتناهي أعلى من حيث الوجود ومن حيث السمات الكاملة من الوجود المحدود، فإن هذه الفكرة المطلقة لا يمكن أن تنبثق من الذات البشرية. وتأكيداً على ذلك يرى ديكارت: إن أي تناقض في الواقع أن الأكثر اكتمالاً هو اللاحق والتابع لما هو أقل كمالاً، ولا يمكن أن تكون

الذات البشرية مصدر هذه الفكرة حتى لو كانت الذات البشرية لديها القدرة على التقدم نحو الكمال اللامتناهي الذي نتخيله، أي حتى لو ارتفعت المذات البشرية تدريجياً نحو الكمال، لذلك يقدم ديكارت عدة أسباب يؤكد من خلالها استحالة هذا الأمر، منها ان هذه الميزات لا تمت للفكرة التي عندي من الله بسبب، ولا تقترب منها على الإطلاق. إذ لا يوجد فيه شيء في القوة فحسب، بل كل شيء فيه بالفعل(). ويعتقد ديكارت أن ما يحمله الإنسان في ذهنه من أشياء لا تتحقق فعلياً يمثل السبب الأول لعدم كونه مصدر فكرة الله لانهائي حقاً، لأنه لا يصل أبداً إلى درجة عالية من الكمال، لكن النفس البشرية ترى أن الله تعالى غير محدود في ذلك: ((ممنوع إضافة أي شيء إلى كماله المطلق)). كل هذه الأسباب قدمها ديكارت لتأكيد أن فكرة وجود كائن غير محدود ولا متناهي لا تنبع من الذات البشرية المتناهية وغير الكاملة.

ثانياً: دليل الجواهر أو دليل الحقائق الأبدية: لم يقدم ديكارت دليلاً بهذا الاسم، لكنه قدم نظرية الحقائق الأبدية التي يمكننا اعتبارها دليلاً آخر لإثبات وجود الله، وشكل من أشكال الدليل الانطولوجي. على الرغم من أن ديكارت لم يذكر هذه الأدلة بالتفصيل في كتبه الفلسفية الأساسية، بل شرحها في رسالته إلى الأب ميرسين والأب ميلان، وكذلك في الردود والاعتراضات المرفقة بكتابه تأملات، فإن هذا الدليل له أهمية بارزة في تكمن فلسفته وأهميتها في الفترة التي سبقت عصر ديكارت، أي في عصر النهضة وقبله في العصور الوسطى، حيث كانوا يقولون إن الجواهر قديمة وغير مخلوقة(). لكن ديكارت قدم نظرية مختلفة تماماً عن نظرية الفلاسفة الذين سبقوه. قال ديكارت إن الأشياء ليست من العقل الإلهي، كما أنها لا تنبع من الله كما تنبع أشعة الشمس من الشمس(). فإنه لا توجد مملكة ثابتة من الجواهر يكون فيها الله، كما هو الحال مع القديس أوغسطينوس وقبله الفيلسوف اليوناني أفلاطون(). وبالنسبة إلى ديكارت، فإنه يتم إنشاء الجواهر، ولأنها مخلوقة، ويجب أن يكون لها خالق، ويجب أن يكون هذا الخالق أعلى منها. إن خلق الجواهر أو الوقائع الأبدية كان من قبل كائن أعلى منها، وله القدرة على خلقها ومنحها الاستقرار، وهذا الكائن هو الله(). لذا فإن الماهيات وفقاً لفلسفة ديكارت ليست جزءاً من العقل الإلهي، بل هي مخلوقة مثل الكائنات الأخرى ولأنها مخلوقة، فهي بحاجة إلى سبب للعثور عليها، وهذا السبب هو الله(). لذلك هذه الحقائق مخلوقة وموجودة في العقل البشري ووجودها يكون حقيقياً. لذلك يعتقد ديكارت: إن صورنا الذهنية ومعرفتنا بالأصول الخارجية المنبثقة من الله، كما هي واضحة ومتميزة، ولا يمكن إلا أن تكون حقيقية(). وبما أن هذه الحقائق حقيقية، يمكن للإنسان أن يفهمها، لأن كمالها يكون محدود، وبما ان كمالها محدود، فهذا يعني أنها أقل مرتبة من الله. ليست في متناول جميع الناس(). وعلى هذا الاساس يقول ديكارت: ((يمكن فهم كل الحقائق بوضوح، ولكن ليس من السهل على جميع الناس بسبب الأوهام الشائعة والأحكام المبكرة التي تحجب أذهانهم)). كما أن هذه الحقائق تتميز بالاستقرار والخلود لأنها صادرة عن إرادة ثابتة وأبدية وهي إرادة الله تعالى. لكن لا نعتقد هنا أن ديكارت وقع في دور إثبات وجود الله من وجود الحقائق الأبدية، لكن الحقائق الأبدية تعتمد أو تعتمد على وجودها على وجود الله. وبالمثل من بين الأشياء التي تميّز هذه الحقائق، وبحسب

ديكارت ضرورتها، لكن يجب ملاحظة أن ديكارت يعتقد أن قول أن الحقائق ضرورية لا يعني أن الله أرادها أن تكون ضرورية. وهناك فرق بين رغبة الله في هذه الحقائق، وضرورة ذلك، وكذلك وإلزام الله(.). وان هذه الحقائق ضرورية فقط للعقل البشري وليست ضرورية لله، لأنها خلق الله، أي أنها تعتمد في وجودها على الوجود الإلهي. وهذه الحقائق لا تكمن ضرورتها فيها إلا لأن الله أرادها أن تكون فيها. وقد عبر ديكارت عن هذا الأمر بقوله إن الله أراد أن تكون زوايا المثلث مساوية لقائمتين، ليس لأن زوايا المثلث لا يمكن إلا أن تكون مساوية لقائمتين، بل العكس هذه الزوايا لا يمكن أن تكون كذلك إلا لأن الله أراد ذلك(.). يقول ديكارت مؤكداً هذا الأمر بقوله: ((إن الحقائق الضرورية للعقول البشرية والتي ندعو إليها إلى الأبدية، ليست ضرورية عند الله. فضرورتهم ليست موجودة فيهم إلا لأن الله أرادهم أن يكونوا فيهم. هذا صحيح الآن ولن يكون غير ذلك))(.). لذلك وبعد كل هذا التفسير، يعتقد ديكارت أن هذه الحقائق ضرورية وثابتة من جهة، ومخلوقة من جهة أخرى(.). هكذا نلاحظ مما قدمناه سابقا. أن تعامل ديكارت مع الدليل الانطولوجي بنفس الطريقة التي اتخذها القديس أنسلم، لكنه قدمها بلمسة حديثة تواكب عصره، واللمسة الحديثة التي أضافها كما لاحظنا، هي ربط اليقين البشري بوجود الله مع يقين البشر بالرياضيات. وقدم ديكارت أدلة أخرى اعتبرناها صورياً للأدلة الوجودية، لأن مسارها هو نفس مسار الدليل الوجودي. وعمل ديكارت كما أشرنا من خلال هذه الأدلة يثبت واقعياً على وجود الله.

المطلب الثاني: دليل ديكارت على الحدوث

ان من خلال ما تقدم من دراسة لأدلة ديكارت على الحدوث، أنه يمكننا تقسيم ما قدمه ديكارت في هذا الدليل إلى ثلاثة أجزاء مرتبطة ببعضها البعض، وهذه الأجزاء تعتمد على بعضها البعض، حيث نرى انطلاق ديكارت بدليله على الحدوث من الذات البشرية عبر سؤاله عن سبب هذه الذات، ومن ثم انتقل إلى نظرية (الخلق المستمر) التي تمثل صورة من صور دليل الحدوث، والتي تعد أساس هذه النظرية. وفي نفس الوقت هذه النظرية قائمة على فكرة الزمن. لذلك يجب أن نعرف فكرة الزمن عند ديكارت قبل أن نتقل إلى نظرية (الخلق المستمر). على أساس هذا التقسيم، سوف نقدم دليل حدوثه في ديكارت.

أولاً: ماهية النفس البشرية المفكرة

يتساءل ديكارت في بداية ظهوره عن سبب وجوده الفكري. وهنا يتابع ليقول إنه عندما أثبت في اليقين الأول أنه كائن مفكر من خلال الكوجيتو، فهذا يعني أنه يدرك ما في نفسه من الكمال والنقص(.). ولم يتوقف ديكارت عند معرفة ما في نفسه من الكمال والنقص، بل ذهب إلى التساؤل عن سبب وجوده. ولأنه يدرك ما في نفسه من الكمال والنقص، فإنه يجد أن ذاته لا يمكن أن تكون سبب وجوده، لأنه يشك ويخطئ ويتساءل، وكل هذه الأمور تدل على النقص. ومن بين الأشياء الأخرى التي تشير إلى النقص، حسب ديكارت أن المعرفة البشرية ليست كاملة، حيث إنها ترتفع دائماً في مراتب الكمال، وتقدم المعرفة دليل على نقص فيها(.). لذلك لا يمكن أن يكون الكائن الناقص الذي يفتقر إلى الكثير من الكمال هو خالق نفسه. إذا كان قد خلق نفسه، لكان قد أعطاه الكمال الذي

لديه فكرة عنها في ذهنه. هذا لأنه من طبيعة الإرادة أن تميل حتمًا إلى ما تعتقد أنه أعظم نفع(). حيث يقول: ((من يعرف شيئًا أكمل منه. لم يعط وجودًا لنفسه. لو استطاع أن يفعل ذلك، لكان قدم لنفسه كل الكمال الذي وصلت إليه معرفته))(). حيث يعتقد ديكارت أنه إذا كان الإنسان هو خالق نفسه، لكان قد منحه كل الكمال، وسيكون هو نفسه غير محدود، أبدًا، وثابتًا، وقادرًا على كل شيء، وهو ليس كذلك، لذلك الإنسان ليس خالق نفسه، فقد خلق الإنسان من العدم، وهذا الخليفة بحاجة إلى قوة مطلقة وغير محدودة. ولا يمتلك الإنسان هذه القدرة، لأنه يفتقر إليها ولا يستطيع امتلاكها(). إذا كان لدى الشخص القدرة على إخراج نفسه من العدم، فسيكون لديه أيضًا القدرة على منح نفسه ما ينقصه. وتأكيدًا على هذا الرأي قال: ((من الواضح جدًا أن خروجي من العدم. أنا الشيء أو الجوهر المفكر كان أصعب من اكتساب العلوم ومعرفة أشياء كثيرة لا أعرفها)). لذلك انه يرى في هذا النص إذا كان الإنسان لا يملك القدرة على اكتساب ما يجهله من العلوم والمعرفة، فكيف له القدرة على خلق نفسه؟، ومن الأشياء التي يرفضها ديكارت أيضًا القول بأن الوالدين البشريين هما سبب وجوده. الآباء هم سبب وجود الجسد())، فهما فقط مناسبان لوجود الإنسان ولا شيء آخر، إذ لا يمكنهم تحريك الإنسان للحظة واحدة بعد لحظة الولادة، لذلك لا يمكن القول إن الوالدين البشريين هم من خلقه، لأنهم غير قادرين على إضافة شيء من الكمال لأنفسهم(). حيث يقول: ((فيما يتعلق بالذي الذين يبدو أنني ولدت منهم، على الرغم من أن كل ما كنت أؤمن به عنهم كان صحيحًا، إلا أنه لا يترتب على ذلك أنهم سبب الحفاظ على وجودي، ولكن ليسوا كذلك. لخلقني أو خلقني كشيء مفكر، حيث لا توجد علاقة بين الفعل الجسدي، الذي كنت أعتقد أنه يتبعني به، وبين اكتشاف مثل هذه المادة وأكثر ما ساهم به والداي في ولادتي، قام ببعض الاستعدادات في هذا الشأن، والتي حكمت فيها حتى الآن على أنني مقيد()). كما أنه من غير المقبول أن يرى ديكارت إن هناك العديد من الأسباب التي تعاونت في تكوين الشخص المفكر. حيث أكد رفضه تلك الفكرة بقوله: ((ليس لدينا ما يبرر أيضًا تخيل العديد من الأسباب التي تعاونت في العثور علي. والتي تلقيتها من أحدهم. وفكرتي عن إحدى صفات الكمال التي أنسبها إلى الله، ومن شخص آخر تلقيت فكرتي عن كمال آخر)).()

هذا النقص في خلق الإنسان سيؤكد ديكارت في نظريته عن الخلق المستمر أو المتجدد(ation)، والتي سننتقل إلى تفاصيلها، لكن هذه النظرية تستند إلى تصور ديكارت للزمن، لذلك من الضروري معرفة رأي ديكارت في الزمان مقارنة بالفلاسفة الآخرين، باختصار.

ثانيا: الزمان: الزمان هي الفكرة الدالة على الوقت قصير وكثير(). حيث تولدت لدى الإنسان فكرة الزمن من خلال ملاحظاته اليومية لتسلسل الظواهر والأحداث، حيث وجد بعضها منتظم وبعضها الآخر غير منتظم. بعبارة أخرى، فإن إدراك الذات البشرية لفكرة الزمن يعني بالنسبة لها تحقيق التغيير والاستمرارية الكامنة فيه وفي كل ما يحيط بنا. لولا وجود الدوام والتغيير لما تمكنت الذات البشرية من ربط الماضي بالحاضر. بدلاً من ذلك، بدون وجود التغيير لن يكون هناك ماضي ولا حاضر(). إن التغيير هو الذي لفت انتباه الإنسان إلى فكرة الوقت.

وفكرة الزمان من الأفكار التي شغلت فكر الفلاسفة قديما وحديثا، نتج عن هذا الانشغال اختلاف في الآراء حول تحديد طبيعته. فمنهم من قال إن الزمان تجريد خالص لا يوجد إلا في الوعي البشري ()، والروح البشرية هي التي تتخيل الزمن، فلا يوجد زمان بدون وجود الروح التي تتخيله. ومن بين الفلاسفة الذين يؤمنون بهذا الرأي القديس أوغسطينوس، الذي يعتقد أنه لا يستطيع السماح لعقله بالاعتقاد بأن الوقت شيء موضوعي. وإن العقل البشري هو الذي يرتب العلاقات بين الأقسام الثلاثة للوقت (الماضي والحاضر والمستقبل) (). وكذلك يرى الكندي والغزالي أيضاً أن الوقت أمر ذاتي، لأنهما يعتقدان أن فكرة الوقت هي من صنع العقل البشري وتصورات العقلية (). أما لايبنيث فهو يرى أن الوقت مجرد تصورات ذهنية، لأنه يمثل نظاماً للتتابع الذي لا يقوم فقط على النسب الموجودة في الأشياء. وعلى هذا الأساس يكون الزمان تابع للحظات الزمنية هذا اذا نظرنا اليها بعيداً عن جميع الموجودات، لتضح لنا انها ليست شيئاً اطلاقاً () اما ديكارت فالزمان بالنسبة له يجب أن يكون وجوده موضوعي، لأن فكره تتميز بالوضوح والتميز، والوضوح والتميز هنا معيار فلسفي وضعه ديكارت لتعريف وتعريف الفكرة الصحيحة من الفكرة الخاطئة، حيث قال: ((يمكنني من الآن أن أقرر كقاعدة عامة أن الأشياء التي أتخيلها بوضوح شديد ومميزة للغاية كلها صحيحة)) (). فكل فكرة حسب اعتقاده ديكارت، تفي بهذا المعيار (أي معيار الوضوح والتميز) لها وجود في العالم الخارجي. بما أن فكرة الزمان تتفق مع هذا المعيار، فهي صحيحة. ولكي تكون صحيحة، يجب أن يكون له وجود موضوعي. لذلك الوقت، حسب رؤيته، له وجود موضوعي مستقل. هذا فيما يتعلق بفكرة الزمان من حيث الوجود. لكن نظرية الخلق المستمر لديكارت لا تقف فقط على بيان فكرة الزمان من حيث وجودها الذاتي أو الموضوعي. بل يتعدى الأمر ان يعتمد أيضاً على طبيعة هذه الفكرة . فطبيعة الزمان هي نفسها موضوع وجود فكرته، حيث اختلفت آراء الفلاسفة في تعريفها. قال بعض الفلاسفة إن الزمان مرتبط ببعضه مع بعض، وقال بعض الفلاسفة إن الوقت منفصل

الخاتمة

من خلال ما قدمناه سابقاً، أظهرنا كيف استطاع ديكارت، من خلال الأدلة التي قدمها إثبات وجود الله تعالى فلسفياً دون الاعتماد على أي تأثير ديني في بداية الخلق، وذلك بسبب محدودية وعيه، ولكن رغم قلة وعيه بالوجود الإلهي نجده التفت إلى الله، وهذا ما تظهره لنا الرموز والطقوس والأسرار الدينية. حيث تميز الإنسان بالتدين، لكن تدينه كان يمثل عبادة الأشياء الحسية حتى صعد تدريجياً وبدأ يشعر بوجود قوة أعلى ذات طبيعة مختلفة. وتكون طبيعته تعني به وبكل ما يحيط به، وتحديداً في هذه المرحلة يتجاوز الإنسان المظاهر الظاهرة ويسعى وراء هذه المظاهر، وهكذا مر الإنسان بعدة مراحل حتى وصل إلى فكرة الله، ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أن فكرة الله التي وصل إليها لم تكن فكرة الإله الواحد، بل كان يؤمن ببداية الأمر في وجود العديد من الآلهة، وهذه المرحلة نجدها مع العديد من الفلاسفة اليونانيين، ولكن على الرغم من أنهم لم يصلوا إلى فكرة الإله الواحد، إلا أنهم عملوا على تقديم العديد من الأدلة التي استفاد منها بعد الفلاسفة، المسيحيون والمسلمون، كما استخدموها

لإثبات وجود الله الواحد بطريقة فلسفية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن فكرة الإله الواحد قد توصل إليها الفكر البشري بوضوح مع ظهور الديانات التوحيدية. ومع تطور الفكر الفلسفي، حيث اهتم الفلاسفة بالبحث عن أدلة على وجود الله، وقد أضاف هؤلاء الفلاسفة إلى الأدلة الإلهية المأخوذة من الفلاسفة اليونانيين أدلة أخرى اخترعوا بواسطتها وحاولوا من خلالها الوصول إلى وجود الله تعالى. ومن بين هؤلاء الفلاسفة (ديكارت)، حيث قدم العديد من الأدلة لإثبات وجود الله، وأن بعض الأدلة هي أدلة تقليدية، ومن بين الأدلة التقليدية المعروفة في تاريخ الفلسفة الدليل الوجودي الذي يحاول إثبات وجود الله بالانتقال من الفكر إلى الوجود بالقول إن الله أعظم الوجود هو الكائن الذي لا نتخيل أعظم منه، فهو يحتوي على جميع الصفات الكاملة، وبما أن الوجود من هذه الصفات فالله موجود. فديكارت يؤمن بوجود الله، وقد عكس هذا الاعتقاد في فلسفته من خلال محاولته إثبات وجود الله تعالى فلسفياً بقصد إقناع الملحددين. فلسفته، فديكارت بدأ فلسفته شاكاً، إذ كان يشك في كل الأمور الحسية وغير الحسية، وكذلك شكه يشمل أيضاً الأمور الرياضية. ولم يتوقف ديكارت عند شكه في الأمور الرياضية، بل وصل إلى الاعتقاد بأن هناك إلهاً مخادعاً ومراوغاً يعمل على خداعه، لكن ديكارت لم يتوقف عند دائرة الشك، لأن الشك بالنسبة إليه هو شك منهجي، لكنه خرج منه وفي لحظة حدسية، بالاعتماد على الشك نفسه، من خلال إدراكه أن من يشك يحتاج إلى ذات يشك فيها، والذات المشكوك فيها تدل على أنها تفكر، والتفكير موجود لذلك الذات موجودة، وقد أثبتتها من خلال الكوجيتو (أنا أفكر إذن أنا موجود)، حيث انتقل من اليقين الأول وهو الفكر إلى الوجود، حيث انتقل ديكارت إلى الله بقوله أن هناك مجموعة من الأفكار في عقل الإنسان ومن بين تلك الأفكار هناك فكرة قوية تسود خواطر أخرى وهذه الفكرة هي فكرة الله تعالى. إلا أنه لم يكن متأكداً من وجود فكرة الله تعالى، لكنه عمل على تقديم عدة أدلة حاول من خلالها إثبات وجوده الفعلي. من بين أبرز هذه الأدلة وأهمها بالنسبة له الدليل الانطولوجي، وهذا الدليل تعود أصولها إلى القديس أنسلم. وفي وقت لاحق أخذ ديكارت هذا الدليل منه، وهو يسير على نفس الطريق الذي سار فيه القديس أنسلم من خلال تقديم الأدلة الوجودية. وفي هذا الدليل انتقل ديكارت من فكرة وجود الله تعالى في عقله إلى الوجود الإلهي الفعلي، وكان انتقاله من خلال اعتقاده بأن يمتلك كل صفات الكمالية، والوجود من هذه الصفات، فيوجد الله، هذا وقد ربط ديكارت في هذا الدليل بين يقينه في وجود الله وبين اليقين الرياضي، حيث أكد أن الوجود الذي يميز الله هو الوجود المطلق، والله هو الوحيد الذي يتسم بالوجود المطلق وكونه الوحيد هو من نال هذه الصفة (الكمال)، إذن هو الكائن الوحيد الذي يتميز بحقيقة، وأن جوهره يشمل وجوده. وكذلك وجدنا أن هناك بعض الأدلة تمثل صوراً للدليل الانطولوجي ومنها (دليل الكمال) الذي يسأل فيه ديكارت عن مصدر فكرة الله الموجودة في عقل الإنسان، وختم ديكارت هذا الدليل بأن الذات البشرية ليست مصدر هذه الفكرة، تماماً كما لم يحصل الإنسان على فكرة الله، من خلال إدخال النفي في فكرة المحدود، تماماً كما لم يحصل عليها الإنسان من خلال جمع مجموعة من الصفات الكاملة (مثل الخير، والقدرة، وما إلى ذلك)، لذلك لم يتبق للإنسان هنا سوى القول بأن سبب هذه الفكرة هو خارج كل هذه الأمور،

تمامًا كما أن هذه القضية متساوية. لأن الفكرة من ناحية الكمال، أي أن سبب هذه الفكرة يجب أن يكون كاملاً تماماً، والله كامل تماماً، لذلك الله موجود. أما الصورة الأخرى للأدلة الوجودية فهي (دليل الجواهر او الماهيات) التي لم يقدمها ديكرت كدليل صريح على وجود الله، بل قدم نظرية الحقائق الأبدية، والتي ووجدنا أنه يمثل دليلاً على وجود الله، اذ يرى أن الحقائق الأبدية مخلوقة. وهذا الخلق ليس من العمل الإلهي الذي يتسم بعدم الكمال واللامحدود، ولكي يتم خلقه يجب أن يكون له خالق أعلى منه، وهذا الخالق هو الله، فتنبثق الحقائق من الإرادة الإلهية. أما الدليل الثاني الذي قدمه ديكرت لإثبات وجود الله تعالى فهو (دليل حدوثه)، وهذا الدليل الذي تعود أصوله إلى الأدلة الكونية التي تعود إلى الفلسفة اليونانية. وفي هذا الدليل يشكك ديكرت في سبب الذات البشرية ويعتقد أن الإنسان لا يمكن أن يكون سبباً لنفسه لأنه ناقص، والنقص دليل على العجز. ايضاً اثنين من الأشياء المفقودة.

قائمة المصادر والمراجع

- (1) John Macquarrie, An Existential Theology, Penguin, u. s. A, p 9-13
- (2) ابوريان ، محمد علي ، الفلسفة الحديثة، دار الكتب الجامعية، ط1، 1969
- (3) المخلصي، منصور، الله في اللاهوت المعاصر، الطيف للطباعة، بغداد، 2002
- (4) الألوسي حسام الدين، الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005،
- (5) إمام عبد الفتاح إمام، الميتافيزيقا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986 .
- (6) بدوي، عبد الرحمن، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، ط 1، 1975 .
- (7) بدوي، عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2
- (8) برهية، أميل، تاريخ الفلسفة (القرن السابع عشر)، ج4، ط1، تر: جورج طرايشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993.
- (9) بلدي، نجيب، ديكرت، ط2، دار المعارف المصرية، مصر، 2004
- (10) توما مرقس، يوسف، الله، كاتدرائية القديس يوسف، بغداد، 2000، .
- (11) الجبوري، عماد الدين، الله تعالى والوجود والإنسان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1986،
- (12) جلسون، ايتين، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام \، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 3، 1996 .

- (13) جنيفاف روديس لويس، ديكارت والعقلانية، ترجمة عبدة الحلو، منشورات عويدات، بيروت، ط 1، 1974،
- (14) خوري، عادل تيودور، من هو الله ؟ (جواب الأديان الكبرى)، المكتبة البوليسية، بيروت، 2003،
- (15) ديكارت، رينيه، التأملات في الفلسفة الأولى، ط4، تر: كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، 1988
- (16) ديكارت، رينيه، مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960،
- (17) ديكارت، رينيه، مقال في المنهج، ط2، تر: محمود الخضيرى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968.
- (18) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، 1982،.
- (19) زيعور، علي، اوغسطينوس، ط1، دار إقرأ، بيروت، 1983.
- (20) ستيس، الزمان والأزل، ترجمة زكريا إبراهيم، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، 1967
- (21) سعيد، نبيل رشاد، فلسفة الطبيعة عند ليبنتس، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة عين شمس، أشرف د. نازلي إسماعيل حسين، 1978
- (22) عباس راوية عبد المنعم، دراسات في الميتافيزيقا، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية .
- (23) العقاد، عباس محمود، الله، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط 3، 1960.
- (24) عويضة، كامل محمد، الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993،
- (25) غالي، ميلاد ذكي، الله في فلسفة القديس توما الاكوينى، دار المعارف، الاسكندرية، 2000
- (26) غلاب، محمد، المذاهب الفلسفية العظمى في العصور الحديثة، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1948.
- (27) فال، جان، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ترجمة فؤاد كامل، دار الثقافة للطباعة، القاهرة
- (28) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 .
- (29) كمال الحاج، رينيه ديكارت (أبو الفلسفة الحديثة)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1954.
- (30) كوليز، جيمس، الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة فؤاد كامل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1973،
- (31) لوقا، نظمي، الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 2003

- (32) متي، كريم ، المدخل الى الفلسفة الحديثة، مطبعة الرابطة، بغداد، 1950.
- (33) محمد سبيلا، الفلسفة الحديثة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1991
- (34) محمد عزيز نظمي، دراسات و مذاهب، مؤسسة شباب الجامعة، أسكندرية، 1988.